جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences

الاجراءات الحديثة في التوعية الوقائية

د. عبدالمجيد سيد أحمد منصور

٢٠٠٣م

الاتجاهات الحديثة في التوعية الوقائية

د. عبد المجيد سيد أحمد منصور

التعريف بالوقاية :

يقصد بمصطلح الوقاية الاشارة إلى أي عمل مخطط نقوم به توقعاً لظهور مشكلة معينة (صحية، أو اجتماعية)، أو مضاعفات لمشكلة قائمة بالفعل، ويكون الهدف من هذا العمل هو الاعاقة الكاملة أو الجزئية لظهور المشكلة، أو المضاعفات، أو كليهما (سويف، ١٩٩٠، ص١٢) ولما كانت جميع العناصر المكونة لهذا التعريف مندرجة تحت مظلة السلوك الإنساني ناسب الوقوف على ماهيته قبل الدخول في أصناف الوقاية.

السلوك الإنساني

لتحديد معنى السلوك الإنساني بصفة خاصة من الناحية الاصطلاحية لابد من تعريف :

أ ـ البناء الأساسي للشخصية.

ب ـ ما هية السلوك.

ج ـ أنماط السلوك [١]

أ ـ البناء الأساسي للشخصية:

هو مفهوم استخلص من مجموعة ملاحظات ظهر منها أن الناس في ثقافة معينة يميلون إلى التقارب أو التماثل في شخصياتهم، ويرجع التماثل في طابع الشخصية بين غالبية أعضاء المجتمع إلى اشتراكهم في خبرات، وظروف ثقافية واجتماعية عامة.

---

(١) غيث: ١٩٧٩، ص ١٩ ـ ٣٥.

ورغم هذا فإن البناء الأساسي للشخصية عند الإنسان الفرد، ينعكس في أشكال سلوكية متباينة كما أن الخبرات المبكرة للفرد تؤثر في شخصيته، كما أن تماثل الخبرات يؤدي إلى شخصيات متماثلة في سماتها.

هذا والوسائل الخاصة بالتنشئة الاجتماعية في الطفولة والتي يستخلصها المجتمع في تنشئة الأطفال تعبر عن أنماط ثقافية مستقرة في المجتمع من ناحية، وتعد عامة بالنسبة لمعظم الأسر العائلية في المجتمع من ناحية أخرى.

ونتيجة لذلك فإن البناء الأساسي للشخصية عند بعض العلماء النفسيين والاجتماعيين يُشير إلى أنه عند أعضاء مجتمع معين يستند إلى أسس اجتماعية معينة.

والبناء الأساسي للشخصية يستخدم عند الدراسات الخاصة بالجماعات الصغيرة المتماسكة نسبياً كما هو الحال في القبائل البدائية أو المجتمعات المحلية الريفية.

ومن ناحية المجتمعات الحديثة والمتقدمة يستخدم البناء الأساسي للشخصية على أساس ما يعرف بالطابع الوطني وحيث يمثل بناء الشخصية الأساسي الاستعدادات والتصورات والأساليب التي تربط الأفراد ببعضهم، والثقافات والأيديولوجيات السائدة (المعتقدات والمفاهيم الواقعية والمعايير التي تسعى إلى تفسير الظواهر الاجتماعية المعقدة في صورة مبسطة للاختيارات الخاصة بنظم الحياة السياسية والاجتماعية للأفراد والجماعات) وما يؤدي إلى الاحساس بالأمن في إطار النظام العام للمجتمع.

---

(١) غيث: ١٩٧٩، ص ١٩ ـ ٣٥.

ـ ما هية السلوك :

تحدد ما هية السلوك بما يمثل استجابة أو رد فعل للفرد (Response or Action) ولا تتضمن الأفعال هنا فقط الاستجابات والحركات الجسمية والعضلية، بل تشتمل أيضاً العبارات اللفظية «السلوك اللفظي» والخبرات الذاتية (القائمة على السلوك الإدراكي العقلي).

كما أن السلوك يعني الاستجابة الكلية أو الآلية التي تتدخل فيها افرازات الغدد حين يواجه الكائن العضوي أي موقف.

ويستخدم اللفظ من الناحية النفسية والاجتماعية مصطلح فعل ـ وسلوك بمعنى واحد، إلا أن اصطلاح السلوك أهم من الفعل لأنه يشتمل على كل ما يمارسه الفرد ويفكر فيه، ويشعر به بغض النظر عن القصد والمعنى الذي ينطوي عليه اللسان بالنسبة للفرد.

ج ـ أنماط السلوك :

النمط السلوكي هو سلسلة الأفعال المتماثلة والمستقرة نسبياً والتي يقوم بأدائها مجموعة أشخاص أو جماعات، وتؤدي إلى الاستجابة الخاصة بموقف معين. وهذا النمط السلوكي يمكن أن يكون في صورة :

١ ـ سلوك مستتر (كائن) وهو السلوك الخاص بفرد معين (Covert behaviour) والذي قد يصعب على الآخرين ملاحظته، وحيث يمثل هذا النوع من السلوك مشاعر وأفكار الفرد، ورغم صعوبة ملاحظة هذا السلوك، الأ أنه يمكن أن يستنتج من السلوك الظاهر لمجموع الأفراد في مجتمع معين، أو عند قيامهم لوصف وإيضاح خبراتهم الخاصة.

٢ ـ السلوك الظاهر «المكشوف» (Overt behaviour) وهو السلوك الفردي

الذي تمكن ملاحظته وتسجيله، وهو يقابل السلوك الكائن الذي يستنتج من المشاعر والأفكار

٣ـ السلوك الاجتماعي (Social Behaviour) وهو سلوك أو فعل شخص معين أو مجموعة أشخاص.

أنماط الجرائم :

في التعريف النفسي والاجتماعي للجريمة نجد أنها تُعرف على أساس أنها سلوك ينتهك القواعد الأخلاقية التي وضعت لها الجماعة جزاءات سلبية تحمل صفة الرسمية.

وهناك المعالجات ذات القيمة العالية حول الاستخدامات القانونية والعامة لمصطلح الجريمة إذ يمكن تحديد نطاق التشريع الجنائي عندما نتعرف على الأفعال التي تقرر الدولة، خلال فترة معينة من الزمن، بأنها تدخل في عدد الجرائم، وأن من يرتكبون هذه الأفعال يجب أن تطبق عليهم العقوبة.

وإذا اعتبرنا الجريمة فعلاً يحرمه القانون ويعاقب عليه أمكن أن ندرك أن الدولة تختلف فيما بينها في تقويم الأفعال الاجرامية بل ان الدولة الواحدة قد تختلف فيها الجرائم من فترة إلى أخرى.

ويجدر بنا أن نذكر أن أنماط السلوك المضادة للنظام الاجتماعي والأخلاقي ليس من الضروري أن ندرجها ضمن نطاق الجريمة، ورغم ذلك فقد حاول بعض علماء الإجرام توسيع نطاق تعريف الجريمة بادخال بعض أشكال السلوك المنحرف ذات الأهمية الاجتماعية.

مثال ذلك ما أشار اليه سذرلاند (Sutherland . E) في كتابه عام ١٩٤٩م

(Sutherland N.Y. White Collar Crime)، وهو الكتاب المعروف تحت عنوان : جرائم الياقة البيضاء، وحيث عرض هذا الكتاب بعض صور السلوك التي يمارسها في الغرب وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، كبار رجال الصناعة والتجارة باعتبارها صوراً انحرافية من وجهة النظر الاجتماعية وإن كانت لا تشكل من الناحية القانونية جرائماً.

وتتمثل أهمية هذا الاتجاه في أنه يكشف عن أوجه القصور في التعريف للجريمة، ومع ذلك فإن علم الإجرام عليه الا يبتعد كثيراً عن هذا التعريف نظراً للتيسيرات المنهجية التي يقدمها عند الدراسة.

ـ الجريمة المنظمة :

ويقصد بها السلوك اللااجتماعي الذي يقوم به أعضاء تنظيم اجرامي يمارس أنشطة خارجة على القانون، وحيث يوجد في هذه التنظيمات الاجرامية تقسيم للعمل. وتحديد للأدوار، وتسلسل للمكانة والسلطة ونسق للمعايير، وولاء تنظيمي واضح.

وقد يكون لهذه المنظمات الإجرامية علاقات داخل المجتمع لحمايتهم، أو خارج المجتمع لامتداد نشاطهم الاجرامي، وفي هذا ما يوحد أركان حياتهم الاجرامية وامتدادها.

ـ المُجرم :

هو الفرد الذي ينتهك القواعد الجنائية في مجتمع ما مع سبق الاصرار، أو هو الشخص الذي يرتكب فعلاً غير اجتماعي سواء كان يقصد ارتكاب جريمة أم لا

وهذا التعريف الأخير، يشتمل على كل من ينتهك الأعراف، أو يتصرف على نحو يخالف معايير المجتمع.

ويلجأ البعض من الباحثين إلى استبعاد فكرة التعريف تماماً لما قد يثيره ذلك من غموض، وبالتالي يُركز البعض من الباحثين على وضع تصنيف للمجرمين. وحيث يرون أن حصر أنماط الجريمة يمكن أن يعطى توجيها سوسيولوجيا أكثر منه قانونيا في دراستها.

ـ الضبط الاجتماعي ودور التوعية الوقائية في تثبيت السلوك الاجتماعي:

وهو من أهم أسس التدابير الوقائية من الجرائم حيث أن السلوك الاجرامي لا يقره المجتمع لذلك فإن الضبط الاجتماعي في تعريفه إلى أن سلوك الفرد وأفعاله محددة بالجماعات والمجتمع المحلي، والمجتمع الكبير الذي يعد الفرد عضواً فيه، والوسائل التي تحقق انضباط الأفراد وامتثالهم لقواعد المجتمع فهي ميكانيزمات لها طبيعة اجتماعية.

والضبط الاجتماعي من ناحية القيود والنظم الاجتماعية يمثل وسيلة اجتماعية أو ثقافية تفرض عن طريقها قيود منظمة ومنسقة نسبياً على السلوك الفردي بهدف التوصل إلى مسايرة الفعل الفردي للتقاليد وأنماط السلوك الذي له أهمية في أداء الجماعة أو المجتمع، واختلال الضبط الاجتماعي وانتشار الانحرافات السلوكية والاختلالات الاجرامية في المجتمع يعود إلى مدى موافقة الفرد وتأييده لمستويات السلوك وحفاظه على هذه المستويات التي تحددها المعايير، وعلى توقعات الدور الذي يقوم به الفرد ويوصف هذه الأدوار ملائمة أو صائبة.

وعملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية واستدماج المعايير الاجتماعية والقيم تقوم على توفير المصدر الايجابي اللازم للضبط الاجتماعي.

لذلك نفهم من ذلك أن الضبط الاجتماعي اما أن يكون ايجابياً أو سلبياً، وفي كلتا الحالتين يمكن أن يكون رسمياً أو غير رسمي.

وينطوي الضبط الاجتماعي الرسمي على السلطة والقوانين واللوائح التنظيمية التي تحدد المكافآت بصورها المختلفة في المجتمع، أو العقوبات التي تمثل الجزاءات السلبية المنظمة والتي تتمثل في الإعدام أو الحبس أو الطرد بما يقابل الامتثال أو المخالفة

ويعد الدين وخاصة الدين الإسلامي الحنيف من العوامل التي تسهم في نسق الضبط الاجتماعي الرسمي كما أن الضبط الاجتماعي يتمثل في النظام وفي تدعيم القيم الاجتماعية وعدم الخروج عنها وعدم الاستغلال أو الاحتكار الأمر الذي يعاون بدرجة كافية في توسيع قاعدة التدابير الوقائية للحد من انتشار الجريمة.

١ـ الضبط الاجتماعي السلبي:

وهو يعتمد على العقاب أو التهديد بالعقاب وتتفاوت أحكامه وقوانينه من التهديد بالاعدام، أو السجن أو الغرامة إلى العادات الاجتماعية التي يتحمل من يخالفها عقوبة السخرية أو الاستهجان الاجتماعي أو رفض الجماعة له.

وبالنسبة لصور الضبط الاجتماعي فهي إما رسمية أو غير رسمية، وفي كلتا الحالتين فهي مفروضة لأن الفرد يمتثل لها بهدف تحاشي النتائج غير المرغوبة إذا حاول الاعتداء عليها أو خرقها.

٢ ـ الضبط الاجتماعي الإيجابي :

وهو يعتمد على دافعية الفرد الإيجابية نحو الامتثال أو المسايرة، ويتدعم هذا النوع من الضبط عن طريق تعزيز المكافآت التي تتفاوت من المكافآت المادية الملموسة إلى الاستحسان والتأييد الاجتماعي.

وبالنسبة لصور الضبط الاجتماعي الايجابي الأساسية فإنها تعتمد على استدماج الفرد للمعايير الاجتماعية والقيم، وما يتوقع من أفعال الفرد وأدواره خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وفي هذا ما يدفع الفرد إلى الامتثال من موقع تصديقه للمعيار الاجتماعي.

من هذا تعتبر المكافآت والعقوبات بمثابة مدعمات للدافعية الخاصة بسلوك الفرد أكثر من اعتبارها مصدرا أوليا لها.

بالنسبة للسلوك الاجرامي والانحرافات السلوكية نجد أن عملية استدماج القيم والمعايير الاجتماعية عن طريق أعضاء المجتمع تُعد من العمليات الضرورية لاستقرار الأمن والأمان في المجتمع. وفي هذا ما يؤكد أن الأمن الاجتماعي تتسع قاعدته، كلما أدرك أفراد المجتمع ـ طواعية دون اكراه ـ قيمة التمسك بالقيم والمعايير الاجتماعية، والتي يكون لدور التوعية الوقائية من الانحرافات السلوكية والسلوك الاجرامي دور كبير في تثبيت القيم والمعايير الاجتماعية والعمل بها وعدم الخروج عنها.

المؤسسات الاجتماعية ودورها الوقائي في تقليل الانحرافات السلوكية

- البيئة الأسرية :

تُعد الأسرة أولى وأهم المؤسسات الاجتماعية في تنمية وضبط سلوك الأبناء تجاه الحياة الاجتماعية ومن المعروف أن العدوانية والسلوك العدواني ينمو كل منهما في مدارج العمر منذ الطفولة وفي ابان فترة المراهقة والرشد، وتعد التنشئة الاجتماعية المتوافقة والتطبيع الاجتماعي السليم للصغار وأثناء فترة المراهقة والوصول إلى الرشد، من أهم المؤثرات المحددة لسلوك الفرد في مستقبل أيامه.

والأطفال والمراهقون قبل وصولهم إلى سن الرشد يتأثرون في علاقاتهم الاجتماعية بالأفراد الذين يتفاعلون معهم داخل محيط الأسرة أو المؤسسات الاجتماعية الأخرى من خلال :

- البيئة الاجتماعية والمادية التي يعيش الصغار في إطارها.
- الثقافة التي تحدد الإطار الحضاري والتعامل في كافة مناحيه بين أفراد الأسرة والمدرسة والجوار والمجتمع غير المحلي والمجتمع الوطني.

وتبدو آثار هذه العلاقات الاجتماعية في سلوك الفرد في مدارج المختلفة، من الطفولة حتى وصوله إلى الرشد وتحمله المسئوليات والتبعات الاجتماعية ومشاركته في الحياة الاجتماعية في شبابه وكهولته وهرمه.

بل أن آثار هذه العلاقات أيضاً تبدو في استجابات الفرد وفي كافة أنشطته العقلية والانفعالية والعاطفية وفي بنائه الشخصي بصفة عامة.

هذا ويعد التقصير في مسئوليات إسهامات المؤسسات الاجتماعية في ضبط السلوك الاجتماعي لأبناء المجتمع، من المعوقات الرئيسة في أضعاف الأثر الوقائي والتوعية الوقائية من الانحرافات السلوكية والقيام بالسلوك الاجرامي.

ـ الدعامة الأولى للحياة النفسية في مرحلة الطفولة المبكرة :

العلاقات الاجتماعية المتوافقة في المحيط الأسري والاجتماعي تمثل الدعامة الأولى للحياة النفسية السوية والتي يحدث من اتباعها انحرافات سلوكية.

فالصغير في تطور نموه يتصل بجماعات مختلفة تؤثر في نموه وتوجه سلوكه، وأولى الجماعات المؤثرة في حياة الصغار الجماعة الوثقى، وتتمثل في الأم والتي تؤثر بدرجة كبيرة في تنشئة الصغير ثم الجماعة الأولية التي تتمثل بعد ذلك في أفراد الأسرة والجيران، ثم الجماعة الوسطى التي تتمثل في رفاق الدراسة في المدرسة، ثم الجماعة الثانوية، حيث تكون علاقات الفرد بعد ذلك في مدرسته ومجتمعه.

ويتأثر الطفل ابان فترة الرضاعة بطريقة تناول الوالدين للطفل أو معاملتهما له، مما يجعل بين الأطفال الرضع فروقاً فردية لها أهميتها في تنشئة الأطفال، فقد يكون من الصعب تهدئة الطفل، ويترتب على هذا أن يصبح الأب سريع التوتر عضوياً يشعر بقلة كفاءته أو بالعجز بحيث يترتب عن ذلك كراهية الطفل ورفضه، وفي هذا ما ينمي العدوانية لدى الطفل في مراحل العمر التالية.

وقد يكون الطفل هادئاً وفي هذا ما يستثير عند الوالدين علاقة أكثر تعاطفاً وقبولاً بين الطفل ووالديه.

وتبدأ عملية التنشئة الاجتماعية الفعلية اعتبارا من السنة الثانية، حيث يبدأ الآباء في تعليم الطفل حضارياً من السلوك والقيم والدوافع، ويميل الآباء إلى تركيز التدريب على المجالات التي هي أكثر أهمية بالنسبة لهم، وفي معظم الحالات نجد أن التنشئة الاجتماعية المبكرة لا تركز على تعليم الطفل أموراً ايجابية يفعلها، وإنما تركز على كف بعض أنواع محددة من الأنشطة.

ومن الطبيعي فالآباء ليسوا هم القوى الوحيدة التي تعمل على التنشئة الاجتماعية خلال السنة الثانية، وكثيراً ما يشترك في رعاية الأطفال بعض المربيات بالإضافة إلى الأبوين أو قد تضمهم مراكز رعاية (دور الحضانة أو غيرها).

وفي سنته الثانية يستطيع الصغير أن يتمكن من ملاحظة أفعال وتصرفات الوالدين والأطفال الأكبر سنا، وبالتالي يتعلم أنواع السلوك المقبول وغير المقبول.

ويبدو أن العدوان شائع لدى الأطفال جميعاً، كما أن تعلم ضبط العدوان جانب مهم من جوانب التنشئة الاجتماعية.

وامكانية السلوك العدواني قد تكون فطرية ولكن طبيعة التعبير العدواني وصورته وتوقيته تتوقف كلها على التعلم، والطرق التي يستخدمها الطفل للتعبير عن العدوان إنما تتوقف على ما يستجيب له الآباء والآخرون. كما أن الاتجاهات نحو التعبير عن المشاعر العدوانية تتفاوت من حضارة إلى أخرى، وبالتالي فإن ممارسات الوالدين في التنشئة الاجتماعية تتفاوت وتختلف.

كما أن السن عامل آخر من العوامل التي تؤدي إلى التفاوت في أسلوب تعبير الطفل عن العدوان، كما يتوقف التعبير عن العدوان من حيث الشكل والشدة على الظروف والوقائع المحيطة بالطفل. كما تتوقف على خصائص الطفل أو سماته الشخصية.

وبعض الأطفال في هذه السن لديه قيود شديدة في داخل أنفسهم أو عملية كف قوية تتعرض التعبير عن نوازع العدوان عندهم، وذلك اما بسبب ما يتلقوه من عقوبات سابقة على سلوك العدوان أو بسبب التقمص، وامثال هؤلاء الأطفال أقل من الآخرين ميلا إلى العدوان.

ـ التأثير المستمر للأسرة في التنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة المتوسطة:

يظل الوالدان يؤثران في عملية التنشئة الاجتماعية بالنسبة للصغار طالما كان الطفل فيما بين سن الثانية وسن العشرين وان كان الطفل بعد السادسة يصبح أكثر نضجاً، كما أن حالة التعلق بالوالدين تتعرض للتغيير بحيث تعكس ازدياد السن واختلاف خبرات الحياة عند الطفل.

واذا كان الآباء ينشغلون في عملية التنشئة الاجتماعية من حيث العدوان والتنميط الجنسي، الا أنهم يتوقعون سلوكاً أكثر من حيث النضج في سن السادسة قبل دخول المدرسة (سن الطفولة المتوسطة).

ومن حيث التنميط الجنسي فإن معظم الآباء والأمهات يظلون يفرقون في المعاملة بين الأولاد والبنات خلال سنوات الطفولة المتوسطة، ومن ذلك على سبيل التحديد أن الأبوين يهتمان اهتماماً بالغاً بتحصيل الأولاد ومنافستهم واستقلالهم وتحملهم للمسئولية وتحكمهم في التعبير عن الانفعالات، أما بالنسبة للبنات فإن الاهتمام أو التركيز يكون أقل على

التحصيل وأكثر على الجوانب الخلقية من قبيل الصدق واستحقاق الثقة، كما أن علاقات الآباء مع البنات أقرب إلى الدفء والتوثق من علاقة الوالدين بأولادهم الذكور

هذا بالاضافة إلى أن الوالدين يزداد اهتمامهما باكتساب أبنائهما السلوك الملائم لجنسهم من حيث الذكورة على حين أنهما يكونان مع البنات أشد قلقا ولذلك فهما يعملان على تقييد أنشطة بناتهما ويشرفان عليهن اشرافاً أكثر دقة وعمقاً، ولكنهما أقل ميلاً مع ذلك إلى معاقبتهن، فإن آباء الأطفال الذين بلغوا سن المدرسة يجدون أنفسهم يواجهون طائفة جديدة من السلوك العدواني. فأطفال مرحلة الحضانة يتصفون بالعدوانية الجسمية واللفظية تجاه الآخرين، بينما أطفال المرحلة الابتدائية يعتدى بعضهم على بعض بالسب، والمعاكسة، وباطلاق أسماء السخرية أو التنابز بالألقاب أكثر مما يفعل غيرهم ممن هم أصغر سناً.

وعملية التنشئة الاجتماعية التي يقوم بها الوالدان بالنسبة للعدوان فترة دخول المدارس الابتدائية ذات أهمية كبيرة لأن ما يقوم به الوالدان ستكون له آثاره ونتائجه فيما بعد، فإن العدوان يبدو أنه خاصية ذات قدر كبير من الثبات على الأقل بالنسبة للذكور، أي أن الأولاد يكونون أكثر عدوانية من معظم أقرانهم عندما تكون أعمارهم بين السادسة والعاشرة أقرب عند بلوغ مرحلة الرشد إلى أن يستبد بهم الغضب بسرعة وإلى أن يظهروا العدوان الصريح مع أقرانهم الآخرين.

وهنا أيضاً نجد أن أفضل الوسائل وأكثرها فاعلية في التصرف في العدوان هو أن تستخدم أساليب «الأبوة الطيبة» بمعنى أن على الآباء أن

يتمسكوا بالحزم والثبات وألا يفرضوا على أبنائهم غير المطالب المعقولة وأن يشرحوا أسباب هذه القواعد أو الحكمة من ورائها وأن يستخدموا الثواب والعقاب بصورة متسقة ثابتة .

وهناك بعدان اثنان لنوع العلاقات بين الطفل ووالديه ، حيث تتفاوت هذه العلاقات على ضوئهما ، فالبعد الأول هو الدفء ، والثاني هو الميل إلى التقيد في مقابل الميل إلى التسامح .

بالنسبة للدفء : هناك خصائص من نوع تقبل الطفل واستحسانه وتفهمه والتمركز حوله أو الانشغال به ، والوالد الذي يتصف بالدفء يكون ودوداً ويستجيب استجابة ايجابية طيبة لما يكون عند طفله من سلوك الاتكال أو الاعتماد عليه ، كما أن الآباء أو الوالدين الذين يتصفون بالدفء يكثرون من استخدام التفسيرات ، وخصوصاً عند التهذيب ، ولا يستخدمون العقاب البدني إلا قليلا ، ويعتمدون في أكثر التهذيب على استخدام المديح أو الثناء بينما الآباء الذين يتصفون بالعداوة فإنهم على العكس من ذلك يظهرون عامة عكس هذه الخصال التي سلفت ، مما يؤثر على البناء الشخصي للصغير واكتسابه العدوانية في سلوكه .

بالنسبة للتقييد : فإنه يتضمن كثرة القيود وصرامة تنفيذ المطالب في مجالات مثل الضوضاء والطاعة ، والعدوان (على الخلطاء والأقران والأبوين) .

وأما جانب التسامح : فإنه كما يتوقع المرء يعكس أضداد هذه الصفات أو عكسها ، ويتأثر سلوك الطفل أثناء عملية التنشئة الاجتماعية نتيجة مجموعة من الصفات المختلفة المتمثلة في الدفء والكراهية والتساهل ، والتشدد على الاتجاهات المختلفة عند الوالدين .

بالنسبة للدفء والتسامح في عملية التنشئة للصغار فإن الأطفال أبناء الوالدين الذين يتصفان بالدفء والتسامح تراهم أقرب إلى الاتصاف بالنشاط والحيوية والانطلاق، واثبات الذات اجتماعيا، والاستقلال، وهؤلاء الأطفال تراهم يريدون السيطرة على بيئتهم، ولذلك فإنهم يحاولون تعلم أساليب الكبار في عمل أشياء، كما أنهم يميلون كذلك إلى أن يكونوا ودودين مبدعين ليست لديهم عدواة تجاه الآخرين أو تجاه أنفسهم، وهم كذلك قد يكونون أقرب إلى العدوان وحب الرئاسة، وأقرب إلى العصيان في بعض الأحيان، ولكن هذه الأفعال العدوانية لا تعكس شيئا مزمنا من الغضب والاحباط أو العداوة، وانما هي تظهر لأن الطفل يشعر بالأمن ولأن الابوين لم يسبق لهما أن عاقبا على مثل هذه التصرفات عقابا شديداً، فالاستجابات تظهر وتختفي بحسب ظروف التدعيم فيما يبدو

وبالنسبة للدفء مع التشدد في عملية تنمية الصغار للأطفال الذين نشأوا في البيوت الدافئة المتشددة تراهم إذا ما قورنوا بأولئك الذين نشأوا في البيوت الدافئة المتسامحة، أقرب إلى أن يكونوا أكثر اتكالية، وأقل ابداعا، ومن الطريف أنهم يكونون أما على درجة عالية جداً أو على درجة منخفضة جداً من المثابرة، وهم أقرب إلى أن يكونوا من النوع الخضوع للوالدين، منصاعا، مؤدبا ومنظما يفتقر إلى العدوان أو التنافس مع الأقران، وأقل اتجاها نحو السيطرة على اكتساب الاكتفاء الذاتي.

والظاهر بصفة عامة أن الأنواع شديدة التطرف من الاضطرابات السلوكية مثل العجز العصابي أو الجنوح لا يحتمل أن تقع عندما يكون الوالدان على درجة مناسبة من الدفء، ولكن هناك الطفل ابن الوالدين الدافئين المتسامحين يكون أكثر انطلاقاً واستقلالا، بينما الطفل ابن الوالدين المتشددين فانه يكون أقل اثباتا وتأكيدا لذاته وأكثر انصياعا وطواعية.

ـ السلوك الوالدي وتنمية العدوان بين الأبناء :

والوالدان المعاديان المتشددان يكون أبناؤهما من الأطفال العصابيين، فالطفل لا يسمح له بكثير من الحرية ويعاقب كثيراً على المخالفات الهينة البسيطة، وبالتالي يشعر الطفل بالعداوة تجاه الوالدين، ولكنه لا يسمح له بالتبرير عن هذه العداوة من خلال السلوك، ولأن الطفل يعجز عن التعبير عن استياته نراه يختزن هذه العداوة أو يسرها في نفسه، وقد تحول بعضها إلى الذات وتسبب بعضها في احداث الاضطراب والصراع الداخلي، وهذا قد يؤدي إلى عقاب الذات، وإلى الميول الانتحارية، والاستهداف للحوادث أو قد يتعرض الطفل لأن يكون خجولا وإلى أن يواجه المصاعب في التعامل مع الأقران، وإلى أن يكون قليل الثقة بأن يستطيع أن يؤدي دور الكبار الراشدين أو أن يكون قليل الرغبة والدافع في ذلك.

من هذا فإن الوالدين المعاديين المتشددين يتسببان في نشأة الصراع الداخلي عند الطفل بينما الوالدان المعاديان المتساهلان يؤديان كذلك إلى كراهية مضادة عند الطفل، وان كان الطفل في هذه الحالة أقرب إلى أن يعبر عن هذه العدواة أو يخرجها في صورة سلوكية، فإن الأحداث الجانحين كثيرا ما يكون آباؤهم من النوع الذي يفتقر إلى الدفء والعاطفة والذي يتصف اما بالتساهل أو بعدم الثبات في ممارسة التهذيب بمعنى أنه يتذبذب فيما بين التهذيب مرة والاهمال مرة، كذلك تبين الدراسات أن الأطفال الذين هم على مستوى مرتفع من العدوانية يكون آباؤهم من النوع كثير التساهل ولكنه مع ذلك يوقع العقوبات الشديدة.

وفي حالة الوالدين المطلقين وأطفالهما حيث ينشأ الأطفال أحياناً في

بيوت لا تضم إلا أحد الوالدين فقط، فإنه في أكثر الحالات لا كلها يقوم على تربية الأطفال الامهات وحدهن.

وتأثير الطلاق على الطفل شأنه شأن كثير من القضايا النفسية الأخرى، يعتمد على عدة متغيرات لذلك وجب علينا أن نتدبر الإطار الكلي للطلاق، بما في ذلك استجابات الوالدين للطلاق، والوقائع التي أدت إليه والنتائج العديدة التي تحدث ضغوطاً وأزمات وصراعات، والتغير الذي طرأ على التفاعلات في داخل الأسرة ومصاعب التوافق لنمط جديد من الحياة، كذلك علينا أن نتدبر آثار الطلاق على الوالدين، فلو بقي الوالدان على علاقة ودية غير عدائية لجاز عندئذ أن تقل معاناة الطفل من صدمه الانفصال بين الوالدين، وان كانت آثار الطلاق مع ذلك ستجعل الحياة أشد صعوبة بالنسبة للأم. من ذلك مثلا أن الأمهات المطلقات أقرب إلى مواجهة الضغوط والأزمات المتصلة بتنشئة الأطفال ومواجهة أكثر من الأعمال المتصلة بإدارة المنزل، اضافة إلى مواجهة الاحباط الجنسي. والانعزال الاجتماعي. وبالتالي الافتقار إلى التأييد الاجتماعي والعاطفي. وفقدان توفير الذات، ومشاعر الوحدة والاكتئاب والإحساس بالعجز، أضف إلى ذلك أن الامهات المطلقات كثيرا ما يكون عليهن تهذيب أو تأديب أطفالهن لأننا نجد أن أكثر الأطفال يرون الآباء أكثر قوة وسلطانا، وأنهم لذلك يكونون أكثر طواعية واستسلاما للآباء منهم للأمهات.

ومن المجالات التي لوحظت فيها ا لآثار المترتبة على الأطفال مجال القدرات المعرفية، فقد تبين أن أطفال الأمهات المطلقات وخصوصا الأبناء الذكور يكونون في المتوسط أميل إلى الحصول على تقديرات مدرسية أسوأ

ودرجات ذكاء أقل، ودرجات تحصيل أقل من الأطفال الذين ينتمون إلى أسر سليمة.

كما لوحظ أن أطفال المطلقات من أولاد وبنات تكون درجاتهم في الاختبارات اللفظية أكثر ارتفاعاً من درجاتهم في الاختبارات الكمية (الرياضية) وقد يكون السبب في هذا ضياع الضبط والتهذيب والتواصل الفكري ـ الذي يحدث غالباً بسبب الطلاق ـ ويجعل الأطفال من النوع المندفع الأرعن والعاجز (أو غير الراغب) في التركيز والمثابرة، والقدرة على تركيز الانتباه أكثر أهمية في الأعمال التي تتضمن الاستدلال والعمليات الاستنتاجية «مثل حل المسائل أو المشاكل الرياضية»، ولذلك فإن الأطفال الذين يفتقرون إلى هذه القدرة يصعب عليهم أن يحسنوا صنعاً في الاختبارات الكمية.

لكن هذه الآثار السيئة على الوظائف المعرفية يمكن لحسن الحظ تجنبها، فلو كانت الأمهات المطلقات حريصات على البقاء إلى جوار الطفل. ويلتزمن بأسلوب حازم حساس في الضبط والتعذيب حريصات على استمرار التواصل الفكري مع أطفالهن ويشجعن السلوك الناضج المستقل. ترتب على ذلك أن يقل احتمال ظهور أوجه القصور المعرفي عند الأطفال.

وبصفة عامة نقول: ان الأولاد أكثر تأثراً من البنات فيما يبدو بسبب الطلاق، وذلك أن من نتائج الضغوط والصراعات التي تكون بين الآباء المطلقين أن تتأثر علاقة الطفل بالوالدين وخصوصا علاقة الابن بأمه وأن تتدهور هذه العلاقة، فقد تبين أن الأمهات المطلقات يظهرن قدرا من الاستجابات الطيبة تجاه سلوك ابنائهن وأنهن يستخدمن أساليب سلبية (مثل

النواهي والتحريمات والمعارضة للطلبات) عند معاملتهن لهم، كذلك تبين أن الأولاد الذين انفصلوا عن آبائهم من قبل بلوغ سن الخامسة، تجدهم في متوسطهم أقل ذكورة في توجهاتهم وسلوكهم، أما في خارج الأسرة فإن أبناء الأمهات المطلقات يكونون مضادين للمجتمع واندفاعيين، وأقل ضبطا للذات متمردين على سلطان الكبار يفتقرون إلى الاحساس بالمسئولية الاجتماعية، أقل قدرة على تأجيل أو ارجاء الاشباع المباشر، ثم أن أولاد المطلقات عند اصدار الأحكام الخلقية تجدهم أكثر اشتغالاً باحتمال انكشاف أمرهم أو تعرضهم للعقاب على ما يفعلون بدلا من أن ينصب اهتمامهم على معايير داخلية، كذلك نجد أن الآثار الضارة للطلاق على شخصية الولد في مرحلة ما قبل المدرسة وسلوكه الاجتماعي تكون أقل بكثير من الحالات التي يكون فيها الآباء على درجة طيبة من التوافق حريصين على الاحتفاظ بقدر معقول من الاتصال بأبنائهم.

وعلى خلاف ذلك نجد أن البنات أقل من الأولاد ميلا إلى الاستجابة لوقوع الطلاق بين الوالدين عن طريق التعبير السلوكي أو اخراج المشكلات في صور سلوكية العدوان ومعارضة المجتمع أو مخالفته، بل الواقع أن الدراسات لم تكشف إلا عن فروق قليلة فيما بين بنات الأسر المطلقة والأسر المتكاملة.

ورغم أن تأثير الوالدين له الأهمية الأولى في تشكيل نمو الطفل وتطوره، ألا أن للأخوة والاخوات تأثيراً لا ينسى أيضا، فإن ما يشترك فيه الخلطاء من اتصال وأخطار له تأثيره المهم كذلك على شخصية الطفل وسلوكه الاجتماعي.

المؤسسات التربوية ودورها السلبي في التوعية الوقائية من الانحرافات السلوكية

من المعروف أن للأقران تأثيراً قويا على الناشئة والطفل عند دخوله إلى المدرسة يقابل وسطا له قوة تأثير بالغة على سلوكه، وعادة ما يكون الطفل عند بدء دخول المدرسة على مستوى القدرة في مقارنة نفسه بالآخرين من حوله، كما أن أطفال هذه السن يحاولون قدر استطاعتهم جذب الآخرين من حولهم، والحصول على حب أقرانهم، ومن مظاهر ذلك الاهتمام الشديد بمنزلة الطفل بين أقرانه بدرجة أكبر من اهتمامه بمنزلته بين أفراد أسرته.

كما أن المدارس كمؤسسات تربوية لها تأثيرها القوي على الطفل حيث يمضي الطفل أكثر ساعات اليقظة من أيام الأسبوع في المدرسة أي خارج منزل الأسرة، الأمر الذي يجعل للمدرسة إسهاماً فاعلا كمؤسسة تربوية في سوية أو انحرافية السلوك عند الطفل.

ـ جماعات الأقران

يزداد أثر وفاعلية جماعات الأقران ويقوى تأثيرها عندما ينتظم الطفل في الحياة المدرسية ويقل دور الحياة الأسرية وخاصة في الأسرة التي تعتقد أن دورها ينتهي بانتقال الطفل إلى المدرسة ويظل أثر جماعات الأقران عند بدء انتظام الطفل من رياض الأطفال وحتى نهاية المرحلة الثانوية، وعالم الأطفال يتشكل من: الوالدين، ومن في حكمهم من الكبار الراشدين، ومن أقران الطفل (كامبل Campel، ١٩٦٤).

وعالم الأقران ينتمي إليه الكثير من الأطفال على أهبة الاستعداد للقيام

بتصرفات تفوق أعمارهم الزمنية، حيث يزود التفاعل بين الأقران الطفل بخبرات جديدة، قد لا تتاح له عند تعامله مع الكبار بمعنى أن انتماء الطفل إلى ما يعرف بالعصبة يتيح له فرصة تعلم التفاعل مع الأقران أو الأتراب من نفس عمره الزمني، وكيف يتعامل معهم، وكيف يستجيب لقائد العصابة (الزعيم) وكيف يعادي من يعاديه وكيف يتعامل أيضا مع من يحاولون السيطرة عليه

هذا بالاضافة إلى أن جماعات الأقران في مرحلة متقدمة من العمر كالطفولة المتأخرة أو المراهقة قد تقوم مقام المرشد والموجه، وخاصة عندما يعاني الصغير من المشكلات الأسرية أو الشخصية أو عندما يعاني من القلق والتوتر

هذا بالاضافة إلى أن لجماعات الأقران تأثيرا مهماً وحيويا، إذ عن طريقها يكتسب الصغير القيم والاتجاهات التي من شأنها تشكيل شخصية الطفل الناشئ، إضافة إلى إسهامها في نمو ونشأة مفهوم الذات (Self-concept)عند الطفل.

إسهام الأقران في التنشئة الاجتماعية :

يتأثر الطفل بأقرانه نتيجة لطول الفترة التي يقضيها معهم، وتشجع بعض الثقافات أطفالها على التفاعل مع الأقران - كما هوالحال في أمريكا - بينما تحجم حضارات أخرى كالصينية والفرنسية أبناءها عن التفاعل بدرجة كبيرة مع أصدقائهم.

وتختلف الثقافات أيضاً من ناحية المعايير بين الأقران، ففي المجتمع

الأمريكي نجد الأطفال شديدي التأثير بالأقران عندما يدفعونهم إلى سوء السلوك، وأن تأثرهم بالأقران أكثر من تأثرهم بالكبار

كما أن الأطفال الانجليز أشد الأطفال تعرضا لضغوط الأقران، أذ أنهم يشاركون بقوة في معايير جماعات الأقران التي تختلف عن معايير الكبار بينما أن الأطفال في الاتحاد السوفييتي نجد أن جماعات الأقران بينهم معاييرها تختلف عن معايير الراشد، والأطفال السوفييت أشد مقاومة لمعايير الأقران (برونفين بريتر Bronfen Brenner ١٩٦٧م).

وهناك ما يعرف في الناحية النفسية بالمسايرة لمعايير الجماعة أو الأقران، حيث يتفاوت الأطفال في مسايرة سلوك الأخرين، وحيث يكون الأطفال دون السادسة لا يبدو في سلوكهم إلا القليل من الميل لمسايرة الآخرين.

بينما طفل المدرسة الابتدائية يميل بدرجة أكبر إلى مسايرة رفاقه وأقرانه وتزداد المسايرة عند تقدم العمر وخاصة في القضايا المعرفية، الأمر الذي يشكل خطورة عند عدم رقابة سلوك الأطفال من خلال اجتماعهم واختلاطهم بأقرانهم في سن المراهقة وحتى سن الرشد.

وقد وجد أن الاناث أقل انصياعا لضغوط جماعات الأقران عن البنين، ومرجع هذا أنهن أكثر ميلا نحو التغير، وأنهن يشعرن بحاجة إلى الانتماء وإلى الموافقة الاجتماعية.

هذا بالاضافة إلى أن الأطفال الذين يتميز سلوكهم بالمسايرة تكون من سمات سلوكهم الاتكالية والقلق وضعف تقدير الذات وزيادة الحساسية الاجتماعية.

وفيما يتعلق بالتطبيع الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية نجد أن الأقران يسهمون إسهاماً مهماً في حياة الصغار، بوصفهم عوامل للتنشئة الاجتماعية، حيث يعلم الآخر كيف يكون سلوكه في المواقف الاجتماعية المختلفة ويتم ذلك بصور مختلفة منها :

أ ـ قد يقوم بعض جماعات الأقران بتقديم نفس اسلوب التعامل الأبوي مع أبنائهم، حيث يقدم بعضها المكافآت أو العقوبة لرفاقهم.

ب ـ قد توفر جماعة الأقران تعلم وتفاعل الطفل مع أقرانه أو رفاق عمره، وتشاركه في مشكلاته وصراعاته وانفعالاته ومشاعره.

ج ـ يتأثر الطفل بالنمط السائد بين أقرانه ورفاقه من قيم واتجاهات، فإذا كانت العصبة منحرفة انحرف معها، وإذا كانت لا تهتم بالأعمال المدرسية، قد يدعو هذا الطفل إلى عدم الانتظام في التحصيل الدراسي.

د ـ قد تؤثر جماعة الأقران على قيم الأطفال فيما يتعلق بالمقارنات التي قد يترتب عنها مشاكل وانحرافات سلوكية، مما قد يرفع من تقدير الطفل لذاته، أو يحقر من شأنه وما قد يدفعه ذلك من انحرافات سلوكية.

ـ العدوانية ومسئولية الأقران :

من حيث أن الأقران يمثلون وسائط للتطبيع الاجتماعي، فإن الأقران يمثلون وزنا أكبر في تشكيل السلوك العدواني بين الأطفال.

وأولى درجات العدوانية تتم عن طريق اللعب الحر الطليق في المدارس أو في الشوارع والأزقة أو ساحات اللعب، حيث يكتسب الأطفال السلوك العدواني ـ وخاصة الذكور، ويتعلمون ما يعرف بالمهارات العدوانية الفاعلة

المؤثرة من الأقران، مثل الضرب كوسيلة للدفاع عن النفس أو كيفية اثارة انفعال الآخرين واستثارة غضبهم وغيظهم، ويحدث تثبيت للسلوك العدواني عن طريق التدعيم والتقليد.

وبالنسبة للتدعيم فيحصل من قبل الأطفال الذين يستسلمون للعدوان، في حين أن الأطفال الأقل عدوانية يضطرون إلى مواجهة العدوان بالعدوان بل ينشأ لديهم ما يعرف بالمبادرة بالعدوان. وعلى طرف آخر قد يصبح الأقران نماذج عدوانية، يقوم الأطفال من حولهم بتقليدهم في الاستجابات العدوانية.

وليس بالضرورة أن يكون سلوك الأقران مستهجنا، فبالقدر الذي يؤثر فيه الأقران على رفاقهم في تعلم العدوانية بقدر يتأثرون أيضا بالتنميط الجنسي. أي تعلم الأنماط التقليدية المألوفة للجنس (الذكر والأنثى) فإن للأقران أيضا نماذج بناءة من السلوك الذي يوصف بأنه متوافق اجتماعياً.

فمن المعروف أن الأطفال يميلون إلى تقليد ما يقوم به أقرانهم من سلوك، كالانضمام إلى الأعمال الخيرية، والمشاركة الوجدانية، والمعاونة في الضوائق المالية، والعمل على رفع الروح المعنوية عن طريق تقليل استجابات الخوف أو التراجع عن المشاركة في الأنشطة الاجتماعية (براين ولوالبير Bryan & Walber، ١٩٧٠).

ـ عالم المؤسسات التربوية :

هذه المؤسسات تمثل عالماً آخر للطفل خارج الأسرة، حيث يمضي الطفل فيها وبين جدرانها أكثر من نصف ساعات حياته اليومية، وهذه المؤسسات تبدأ من الروضة والتمهيدي والمرحلة الابتدائية حتى المرحلة الثانوية.

ومن المعروف أن القدر الأكبر من تشكيل البناء الشخصي للصغير يتم داخل المؤسسات التربوية، والتي تقوم بدور فعال في التطبيع الاجتماعي، حيث تكون تأثيراتها قوية في تشكل الشخصية والسلوك الاجتماعي.

ونتناول دور هذه المؤسسات التربوية في عمليات التطبيع الاجتماعي والانحراف السلوكي ـ أحياناً ـ عن طريق عرض جوانب مختلفة تتمثل في الآتي:

ـ مسؤليات المعلمين:

المعلمون يمثلون بدائل الآباء، وهم الراشدون خارج نطاق الحياة الأسرية الذين يقومون بأدوار مهمة في حياة الصغار، ومن المعلمين من يعاون الصغير في التغلب على الاعاقات والقصور والمشاكل التي تعيق نموه وتعترض ميوله، ومنهم من يعرقل المسيرة الصحيحة أمام أبنائه من التلاميذ.

والمعلمون بصفتهم من العناصر المهمة في التطبيع الاجتماعي يؤثرون في تلاميذهم عن طريق القدوة، وعن طريق تشجيع وتدعيم الاستجابات المرغوبة، وإضعاف وأطفاء الاستجابات السلبية

وعادة ما يعمل المعلمون في المجتمعات المحافظة على تدعيم السلوك التقليدي المرغوب في مثل هذه المجتمعات، والقائم على التزام الهدوء والطاعة والامتثال والسلبية بين الذكور والاناث على حد سواء.

وعادة ما يتم في هذه البيئات الاجتماعية التربوية تجاهل بعض الاستجابات مثل اثبات الذات، والعدوانية والخشونة، بل اضعاف هذه الجوانب والعمل على قمعها داخل المدرسة.

ولشخصية المعلم في قاعات الدراسة إسهاماً في تشكيل شخصيات التلاميذ اذ أن سمات المعلم تنعكس في أسلوب تعامله مع تلاميذه وطريقة تهذيبه لهم، وهذا بدوره يؤثر في اتجاهات التلاميذ نحو التعلم.

وقد وجد أن تلاميذ المعلمين الذين يتسم سلوكهم بالمرونة داخل المدارس المختلفة، كانوا أكثر اهتماما وميلا في أنشطة الصفوف الدراسية، إذ ظهر من استجاباتهم قيامهم بالعمل بروح استقلالية أكبر، وأنهم يعبرون عن مشاعرهم بقدر أكبر من الحرية، وأنهم أكثر تقدما في تحصيلهم الأكاديمي، ويظهرون قدرا أكبر من الابتكار والابداع، بينما تلاميذ المعلمين المتسلطين كانوا أكثر ميلا أو حاجة إلى تقديم المساعدة والمعاونة المستمرة لهم، وكانوا أكثر نصيبا من العدوانية (شندلينج وبيدرسون Shinedling & Pederson1970).

ـ الكيان المدرسي :

يؤثر الكيان المدرسي ممثلا في حجم المدرسة في النمو الاجتماعي للتلاميذ، فالمعلمون في المدارس الكبيرة ذات الفصول الدراسية المتعددة الكبيرة يميلون إلى أن يتسم سلوكهم العام بالجفاف والشدة، وهم عند قيامهم بالتأديب والتهذيب يكون سلوكهم قائما على الضبط والتقييد والتوجيه، بينما في المدارس الصغيرة ذات الفرق الدراسية الصغيرة يشيع جو التحرر والتواد بين المعلمين والتلاميذ، ويزداد تفاعل التلاميذ ويقل فرض القيود والتحريم على سلوك الناشئة.

وحتى في الأنشطة الطلابية التي تقدمها المدارس الصغيرة أو الكبيرة نجد أن المدارس الصغيرة تكون فيها العلاقات بين التلاميذ أكثر توثقا، الأمر

الذي يجعل من شأن المشاركة الايجابية في هذه الأنشطة في المدارس الصغيرة التقارب بين التلاميذ، ولا يجعل النفرة أوالانطوائية، وعما يتبع من انحرافية السلوك مثل ما هو موجود في المدارس الكبيرة.

ـ المؤسسات التربوية ومسؤلياتها في الجريمة والجنوح :

لا تستطيع امكانات المؤسسات التربوية أن تقدم خدماتها التعليمية والتربوية على أكمل صورة، إذ أن هذه المؤسسات الحيوية رغم ما تقدمه وتبذله من جهد مع أبنائها التلاميذ فإنها قد تعجز عن وقايتهم من التعرض إلى مشكلات قد تعترض سبيلهم وقد يكون من شأنها الضياع والجنوح واضطرابات السلوك.

ومن المعروف أن نقص برامج الارشاد والتوجيه داخل المؤسسات التربوية من شأنه ايجاد خلل في العملية التعليمية والتربوية وكثرة الانزلاق أمام التلاميذ إلى مهاوي الجريمة والجنوح.

وانفراط المسئولية المتضامنة بين البيت والمدرسة من شأنه إيجاد خلل في اتجاهات الطفل وقيمه الدينية والاجتماعية، ومن المعروف أن معدلات الجريمة تزداد عند انخفاض مستوى التعليم الرسمي للأفراد، والعكس بالعكس (ماكورميك، ١٩٦١، MacCormic).

وقد يكون للمدرسة منفذ يدخل منه الجنوح إلى الأبناء من التلاميذ، أذ أن الهروب من المدرسة والتخلف عن المواظبة، والتسرب من المراحل التعليمية تؤدي جميعاً إلى الجنوح، هذا بالاضافة إلى أن كراهية التلميذ للمدرسة قد تكون سببا وراء جنوح الأحداث.

أما عن إسهام المدرسة في توجيه سلوك البالغين والراشدين ـ فهو إسهام

غير مباشر، ولذلك فإن الطفل الذي تعجز أو تفشل المدرسة في تصحيح اتجاهاته الخاطئة هو بلا شك من المنحرفين في المستقبل.

وعلى كل فإن فشل المؤسسات التربوية في التنشئة الثقافية والمعرفية والاجتماعية لأبنائها التلاميذ، انما يعني فشل المجتمع في تهيئة الظروف المناسبة لتحقيق الأهداف التربوية والاجتماعية أمام أبناء المجتمع، الأمر الذي يدعونا إلى المناداة بأن تكون المسئوليات الملقاة على عاتق الأسرة والمدرسة والمؤسسات الاجتماعية والتربوية في المجتمع مسؤليات متضامنة وتنشئة اجتماعية متوافقة، ولتقليل فرص الانحرافات والاضطرابات السلوكية أمام أبناء المجتمع.

كل هذه العوامل إن لم يكن هناك التنظيم لتحديد المسئوليات والإسهامات الايجابية لتوجيه الصغار والناشئة والشباب، وارشادهم إلى السلوك الايجابي والمشاركة الايجابية البناءة في المجتمع، فإن هذا مايزيد من المعوقات التي تقف أمام أساليب التوعية الوقائية من الانحرافات السلوكية.

تصنيفات الوقاية :

اولاً : الوقاية من الدرجة الأولى :

ويقصد بها منع وقوع الاصابة اصلاً ففي جرائم المخدرات والتي سنتخذها مثالاً في دراستنا عن التوعية الوقائية يقصد بالوقاية منع وقوع التعاطي (المؤدي إلى الإدمان) اصلاً. والتدابير لهذا المنع أمر بالغ الصعوبة، وذلك لتعدد العوامل المسهمة في حدوث الإدمان.

إجراءات الوقاية من الدرجة الأولى :

ويدخل تحت اجراءات الوقاية من الدرجة الأولى ثلاثة أنواع من الاجراءات :

تحديد الجماعات المستهدفة أو الهشة Vulnerable Groups or Groups at Risk . ويقصد بالجماعات المستهدفة أو الهشة أية جماعات محدودة داخل المجتمع الكبير ، يرتفع في حالتها (أكثر من المعتاد) احتمال تورط افرادها في الإدمان على المخدرات ولا يعني ذلك أن هؤلاء الافراد سوف يدمنون على المخدرات حتماً، ولكن يعني فقط أن احتمال الإدمان في حالتهم اعلى منه في حالة سائر الجماعات الفرعية التي يضمها المجتمع . ويسهم في ارتفاع الاحتمال المشار إليه عدة عوامل . ويعد تحديد هذه العوامل واحداً من الاهتمامات الكبرى للباحثين في شتى انحاء العالم . ومن أهم العوامل التي أمكن الكشف عنها ما يأتي ، والتي تعد من معوقات التوعية الوقائية ، وتقف عثرة أمام أساليب الوقاية من الدرجة الأولى ، وطرق التعامل معها .

١ ـ وجود تاريخ للإدمان في الاسرة .

٢ ـ الانهيار الأسري .

٣ ـ الدخل المنخفض

٤ ـ ضعف الوازع الديني .

٥ ـ اختلال الانضباط في الأسرة .

٦ ـ تدخين السجائر قبل بلوغ سن ١٢ سنة .

٧ ـ مصاحبة أقران مدمنين .

٨ ـ الظروف السيئة في بيئة العمل .

ثانياً: الوقاية من الدرجة الثانية:

ويقصد بها التدخل العلاجي المبكر، بحيث يمكن الوقاية في حال الإدمان على المخدرات من التمادي في التعاطي والوصول به إلى مرحلة الإدمان، وكل ما يترتب على مرحلة الإدمان من مضاعفات. وبالتالي تصبح المشكلة الأولى في هذا المستوى هي كيفية الكشف عن وجود حالات التعاطي المبكر حتى يمكن التدخل في الوقت المناسب.

وتشير كثير من الدراسات الميدانية إلى أن نسبة كبيرة من الشباب حديثي العهد بالتعاطي يكونون على استعداد للتوقف والرجوع عنه بسهولة نسبية وهو بعد في مرحلة التجريب والاستكشاف ويتضح من الدراسات التي تمت في هذا الصدد، أن نسبة من يتوقفون ويتراجعون عن التعاطي وهم لا يزالون في هذه المرحلة تقرب من ٧٥٪ ممن يتقدمون للاستكشاف، وأن هذه النسبة ثابتة فيما يتعلق بمعظم المخدرات والمواد النفسية. وهؤلاء غالباً ما يتم تراجعهم تحت ضغوط محدودة الثقل من عوامل وأفكار ومخاوف قد تبدو شديدة الخفة أمام المشاهد الخارجي. وهذا ما يجعلنا نرجح أن التدخل العلاجي في هذه المرحلة من شأنه غالباً أن يكون مجدياً في انقاذ نسبة لا يستهان بها من الشباب.

كذلك تكشف كثير من الدراسات التي قدمت في عدد من المؤتمرات تنبئ بجدوى جهود التدخل المبكر، ومن هذه المؤشرات الاستقرار الأسري، والتوفيق الدراسي، وعدم ممارسة التدخين، والخلو من الاضطرابات النفسية كالقلق والأرق والاكتئاب، ومن الاضطرابات النفسية الجسمية (السيكوساماتية) كالصداع وبعض الاضطرابات الحشوية.

إجراءات الوقاية من الدرجة الثانية :

ويدخل تحت اجراءات الوقاية من الدرجة الثانية ما يأتي :

من الناحية الاجرائية تصبح المشكلة الأولى في هذا المضمار هي كيفية اكتشاف حالات التعاطي المبكر ومن أفضل الطرق في هذا الصدد أن تتبنى الدولة سياسة الكشف عن حالات التعاطي بحيث يصبح هذا الاجراء ملزماً في مجالات بعينها، مثل التورط في مخالفات المرور على الطرق السريعة، وفي حالات القبض على الاشخاص (خاصة صغار السن) لارتكابهم جرائم مثل النشل والسرقة والضرب، وكذلك في حالات الانضمام إلى النوادي والفرق الرياضية، وفي حالات التقدم للالتحاق بالمعاهد العليا والجامعات، وبعض الوظائف مثل خدمات الطيران، على أن يجري التصرف في هذه الحالات جميعاً في اتجاه التحويل إلى جهة الاختصاص لاجراء التدخل العلاجي، وفي الوقت نفسه تمضي سائر الاجراءات المناسبة لطبيعة المجال الذي تم الفحص بمناسبته. وربما أمكن التدبير لاستخدام آليات الترغيب أو التحذير للضغط على الحالات التي يثبت فيها وجود التعاطي لكي تمتثل لمقتضيات العلاج المبكر، كأن يوقف قرار قبول إنضمامهم للنوادي أو الفرق التي يريدون الإنضمام اليها حتى يثبت خلوهم من المخدر لفترة معقولة يخضعون خلالها للفحص المفاجئ، أو أن تثبت حالة التعاطي في الأوراق الرسمية مع محضر اثبات وقائع الجريمة.

ومع التسليم بأن الكثير من طرق اثبات وجود المخدرات في السوائل البيولوجية (الدم مثلاً) لا تزال باهظة التكليف، فإن هذا لا ينفي وجود طرق منخفضة التكلفة، وبالتالي لا يجوز التغاضي عن استخدامها. وربما اقتضى الأمر تذليل بعض العقبات التشريعية التي قد تقف في هذا السبيل.

ومن أفضل الطرق كذلك الإفادة من العيادات الخارجية الملحقة بالمستشفيات العامة، ومن عيادات الصحة المدرسية، وعيادات طلبة الجامعات بحيث يصبح الكشف عن وجود حالة تعاطي للمخدرات جزءاً لا يتجزأ من إجراءات الفحص الطبي العادي، يتبعها مباشرة التحويل إلى قناة تقديم الخدمة العلاجية المناسبة، وجدير بالذكر أن عملية الكشف عن هذه الحالة في سياق الموقف العيادي الروتيني لن تضيف إلى أعباء العمل الطبي سوى بضع دقائق. كما انها لن تقتضي إلا قدراً ضيئلاً من التدريب الاضافي وذلك لاضافة قدر محدود من الاسئلة الكاشفة ضمن مجموعة الاسئلة الأكلينيكية المعتادة.

ثالثاً: الوقاية من الدرجة الثالثة

ويشار بهذا المصطلح إلى التدخل العلاجي المتأخر نسبياً، وذلك لوقف المزيد من التدهور المحتمل للمضاعفات العضوية والنفسية المترتبة على الإدمان.

وتقع تحت هذه الفئة من الوقاية جميع اجراءات العلاج، وإعادة التأهيل والاستيعاب الاجتماعي، ويثار هنا سؤال حول الحكمة المتوخاة من وصف هذه الخطوة بأنها خطوة وقائية. والاجابة على ذلك تتمثل في عدد من العناصر منها:

١ أن المبادرة إلى تناول هذه الحالات بالعلاج يتضمن بالضرورة وقاية الفرد من مزيد من التدهور إلى مستويات متدنية من الصحة البدنية والنفسية.

٢ ـ أن في وقاية الفرد موقع العمل الذي يعمل فيه من مزيد من التدهور في

العملية الإنتاجية التي يشارك بها الفرد في العمل الذي يدور في هذا الموقع كماً وكيفاً.

٣ ـ كما ينطوي على وقاية لمن يحتلون مواقع قريبة من هذا الشخص داخل شبكة العلاقات الاجتماعية التي تحيط بهذا الشخص كل حسب نوع الأضرار التي يتعرض لها ويحتمل أن يتعرض للمزيد منها.

٤ ـ واخيراً فهو ينطوي على وقاية من تزايد احتمالات أن يتورط هذا الشخص في شبكة العلاقات الإجرامية الخطيرة المحيطة بالإدمان.

القنوات التعليمية كأدوات للوقاية من الدرجة الأولى لمكافحة تعاطي المخدرات

مما لا شك فيه أن المؤسسات التعليمية بجميع مستوياتها تعد أحد الأسس المهمة في تكوين الفرد. فالأسرة والمدرسة والبيئة المحيطة بالإنسان بصفة عامة ـ تشكله وتوجهه، وقد تطلق أو تحد من طموحاته وآماله.

وإذا نظرنا إلى التعليم لوجدناه المحور الأساسي الذي تتبلور حوله الصفات السلوكية والنفسية والعاطفية للفرد، بالاضافة إلى تشكيله للقدرات العقلية والفكرية والمهارات اليدوية، والتعلم والتعليم يبدأ ببداية العمر، وتتصل حلقاته مدى الحياة إلا أن المراحل الأولى من حياة الإنسان تعد من أهم فترات حياته، حيث تنبت فيها جذور صفاته وقدراته.

فنجد أن مرحلة السن قبل المدرسي تعد من أخطر فترات حياة الفرد، ففيها يتشكل جوهر شخصيته وسلوكه وقدراته. ثم نجد فترة السن المدرسي، وتبدأ بالتعليم الأساسي من السادسة حتى الثانية عشرة، حيث يتعرض فيها الطفل إلى التحول الاجتماعي، ففي بدايتها يتعرض الطفل للتعامل مع

أقرانه ومعلميه، فيكتسب قدرات اجتماعية وثقافية وعلمية خارج نطاق أسرته الصغيرة. ثم ينمو في هذه البيئة العلمية الثقافية الاجتماعية تدريجياً. حيث يتعرض لاتجاهات وضغوط نفسية واجتماعية تكسبه صفات وقدرات تشكل شخصيته ونفسيته ومستقبله.

لذلك فالتربية المدرسية تعد أساس تشكيل شخصية الفرد الذي يعد ليتمكن من اقتحام واقع الحياة بما فيها من خير وشر

تعد مرحلة التعليم الأساس والتعليم الثانوي بأشكاله مرحلة مهمة يعتمد فيها التلميذ في تشكيل شخصيته وسلوكه وقدراته على المدرسة فمثلاً فيها المناهج الدراسية (التي تشمل الاهداف والمقررات ونظم ووسائل التعلم والتعليم ونظم ووسائل التقييم)، كما انها تعتمد على المدرس (المعلم) الذي يعتبر المشكّل الحقيقي لتلاميذه. كذلك تعتمد على النظام المدرسي المتبع في هذه المرحلة. فنجد أن النشاط المدرسي يعد محوراً مهماً تدور في فلكه تشكيل وتنمية الشخصية والسلوك والقدرات الاجتماعية والثقافية والفنية والرياضية. وهذا هو المدخل الحقيقي لتحول الطفل من مرحلة الاعتماد على الأكبر منه سناً، مروراً بالاعتماد على الذات وانتهاء بممارسته مرحلة التعاون والتكامل مع الغير في المسار نفسه، وهذا في حد ذاته يعتبر الأساس في النضوج الفكري والنفسي للفرد.

وببداية التعليم العالي والجامعي تبدأ الخطوات التالية لاستقلال الشخصية والقدرات وفيها يتمكن الطالب من اكتساب مزيد من القدرة على التحديد والتمييز والانتقاد.

كما أنه يمكنه ممارسة المنهجية العلمية في التفكير والتخطيط والتنفيذ، اذا اتيحت له الفرصة، وبذلك يتمكن من تقدير عائد عمله وتصرفاته القريبة

والبعيدة المدى، ويتمكن الفرد من تنمية قدراته على التعلم الذاتي والمستمر الذي بواسطته يستطيع أن ينمي ويصقل مشاعره وقدراته ليصبح قادراً على أن يكون مواطناً منتجاً متكاملاً ومتعاوناً مع غيره، يعمل ضمن فريق حيناً أو يقود فريقاً كلما اقتضى الأمر، وبذلك يصبح مواطناً ناضجاً متوازناً يحتفظ بالاصالة والمعاصرة.

السن الهشة :

إذا نظرنا إلى الدراسات الخاصة بتعاطي المواد المؤثرة في الجهاز العصبي والمخدرات والدراسات الخاصة بوبائيات التعاطي والإدمان بين طلاب المدارس وطلاب الجامعات على مستوى القطر المصري التي قام بها الاستاذ الدكتور مصطفى سويف (١٩٨٧ ـ ١٩٩٠ ـ ١٩٩١ ـ ١٩٩٤) لوجدنا أن نسبة المدخنين بين طلاب المدارس الثانوية والثانوية الفنية بلغت ١٠,٧٧٪ من مجموع التلاميذ والطلاب عام ١٩٨٨، وحوالي ٢٠٪ بين طلاب الجامعات الذكور

اما فيما يخص تجريب المواد المشيدة كيميائياً من منشطات ومهدئات ومنومات، فقد بلغت ١,٧٩٪ و٢,٧٢٪ و٢,٢٦٪ على التوالي. وبالنسبة لتدخين الحشيش بلغت ٥,٠٥٪ والأفيون ٠,٨٤٪ والكحوليات حوالي ٢٢٪.

واذا نظرنا إلى توزيع اعمار تلاميذ المدارس وطلاب الجامعات الذين يقبلون على تجريب هذه المواد والمخدرات لوجدنا أن ذلك يبدأ بنسبة صغيرة في سن الثانية عشرة، ثم يزداد بمعدل كبير بداية من سن الرابعة عشرة حتى الثامنة عشرة، ثم يقل تدريجياً حتى سن الثانية والعشرين

وهنا ندرك خطورة هذه السن المبكرة التي تكون فيها شخصية الطفل أو الشباب الصغير هشة سهلة لأن تقع فريسة للتعاطي والإدمان، ولذلك اطلق على هذه السن التي تبدأ بالرابعة عشرة حتى الثامنة عشرة، وقد تقل أو تكثر قليلاً من ذلك، السن الهشة. وفي احدى دراسات الاستاذ الدكتور مصطفى سويف تبين أن طلاب المدارس والجامعات الذكور الذين يتعاطون أو يدمنون المخدرات هم من بين المدخنين، ويتضح من ذلك أن المدخل الطبيعي لتجريب تعاطي المخدرات هو التدخين.

لذلك فإن نظام التعليم في المرحلة المتوسطة والثانوية تليها المرحلة العالية أو الجامعية يستطيع أن يسهم إسهاماً فعالاً في الوقاية من تعاطي وإدمان المخدرات منذ البداية. وهو ما يطلق عليه الوقاية من الدرجة الأولى، وذلك اذا ما وجهت الجهود للتعرض للمسببات النفسية والاجتماعية والتعليمية التي يتعرض لها التلميذ أو الطالب، مما يدفع البعض إلى التدخين، ثم تعاطي وإدمان المواد المؤثرة في الجهاز العصبي والمخدرات.

ومن الملاحظ أن طلاب المدارس الثانوية الحاصلين على درجات دنيا في امتحان الشهادة المتوسطة (أي غير المجتهدين) هم الذين يغلب عليهم الاتجاه إلى التدخين في مرحلة التعليم الثانوي. وهذا لا يعني أن التدخين هو الذي جعل التلاميذ أقل اجتهاداً من غيرهم، بل أن الظروف المسببة - وهي مختلفة - قد تكون هي التي قللت من قدرة التحصيل الدراسي. فهناك دراسات خاصة بالاوصاف اللصيقة بالتلميذ، وهي السن والمواطن والنشأة وموطن الاقامة ومستوى إنجازه الدراسي ووضعه الأسري مثل الحياة مع الأسرة أو وفاة أو غياب أحد الوالدين أو كليهما أو انفصالهما، وعدد الأخوة والدخل الشهري للأسرة وقيمة المصروف الشهري للتلميذ، وكذلك مستوى تعليم وثقافة الوالدين والوضع المهني لكل منهما.

كذلك تبين أن نسبة التدخين بين طلاب المدارس الثانوية أكثر في مدارس اللغات ومدارس الخدمات، كما أن المشكلة أكثر حدة في مدارس الحضر منها في الريف وهذه عكس ما قد نتصوره.

والفارق الأساسي بين مجتمع الريف ومجتمع الحضر هو أن المناسبة الاجتماعية السعيدة هي التي يبدأ فيها طلاب المدارس بالريف ممارسة التدخين. أما في الحضر فجلسة مع الأصدقاء هي بداية التحول، وذلك لاثبات جدارتهم للانضمام إلى ثقافة الأقران، أو أثناء المذاكرة والامتحانات.

واذا امعنا النظر في الظروف المدرسية التي قد تعرض بعض التلاميذ وطلاب الجامعات إلى تعاطي المنشطات والمهدئات، فإننا نجد أنه طالما كان الاستذكار خاضعاً لوسائل تقيمية من شأنها إضفاء حالة من التوتر على الطلاب، فإن ذلك يعرض الشخصيات الهشة الى توتر فائق يدفعهم إلى تعاطي المنشطات أو المهدئات وكذلك التدخين، وذلك يؤدي إلى زيادة مخاطر الوقوع فريسة للإدمان.

ومن ثم يصبح من الضروري ايجاد الوسائل التي تحمي التلاميذ والطلاب من العوامل المؤثرة التي تدفعهم إلى التدخين أو تعاطي وإدمان المواد المؤثرة على الاعصاب أو المخدرات.

المدرسة وتنشئة الطفل:

إذا نظرنا إلى التعلم الأساسي والثانوي ورسالته نحو تنشئة التلاميذ نجد أن الملامح الأساسية في الإنسان منذ طفولته أنه رغم اعتماده على والديه أو مدرسية إلا أنه ينزع دائماً إلى الاستقلال بشخصيته، ويزداد هذا السلوك

كلما كبر، ليؤكد اعتماده على قدراته التي تنمو وتزدهر ثم تكتمل صورته الاستقلالية (Independence) في مرحلة التعليم الثانوي والعالي أو الجامعي. وبعد ذلك ينتقل إلى مرحلة الترابط والتعامل مع الغير، وهي مرحلة اعلى من النضج الاجتماعي (Interdependence)

لذلك فلابد من إدراك وتأكيد هذا النمو الطبيعي لشخصية الفرد، واتاحة كل الظروف المهيئة لاكتمال صفاته السلوكية والنفسية والعاطفية، وكذلك قدراته العقلية والفكرية ومهاراته الفنية والتكنولوجية. ليست هذه الرسالة التربوية موجهة فقط لتنمية القدرات والصفات الخاصة بالطلاب، بل هي في نفس الوقت أساس مهم للوقاية من الدرجة الأولى لحماية الشباب من التعاطي والإدمان.

الدوافع الطبيعية التي يتصف بها الفرد منذ طفولته حتى شبابه لتشكيل شخصيته:

ولابد لنا من أن ندرك أن الاستعداد لتنمية هذه الصفات والقدرات لا يبدأ من سن الثانية عشرة وهي سن محاولة التدخين فحسب، بل قد يبدأ من المراحل السابقة للتعليم. فاكتساب الصفات والقدرات لا بد وأن يبدأ من المرحلة الابتدائية، وما يسبقها من مرحلة سن ما قبل المدرسة.

وإذا أمعنا النظر في الدوافع الطبيعية التي يتصف بها كل طفل أو تلميذ أو طالب أو شاب لوجدنا أنها تدور حول النقاط التالية:

- حب الاستطلاع، وحب التجريب، والرغبة، والرفض.

التقليد، وحب الانضمام إلى ثقافة الجماعة.

التطلع لمستوى أعلى، وحب الشعور بالتميز بين الأقران.

- البحث عن القدوة (الوالدان - الأسرة - المدرس وغير ذلك).
- حب التجديد وتفادي الرتابة والنمطية.

الشعور بالحماية والأمان والعدل في محيط الأسرة.

- قدرته على تحديد صورة لمستقبله.

الأسس التربوية اللازمة للتنشئة الصحية للتلاميذ والطلاب:

في ضوء الدوافع الطبيعية التي يتصف بها الفرد منذ طفولته ليشكل شخصيته وقدراته المستقبلية، نجد أن هناك أسساً تربوية لا بد من اتباعها في المراحل المختلفة من تنشئة الطفل قبل السن المدرسي. ثم التعليم الابتدائي فالإعدادي فالثانوي، ثم العالي أو الجامعي.

ففي المرحلة الابتدائية نجد أنه من الضروري للتنشئة الصحيحة أن يؤكد نظام التعليم على ما يلي:

- المقدرة على اكتشاف قدرات الطفل وتنمية هواياته ومواهبه.
- غرس القيم السليمة وتنمية السلوك السوي.

اتباع النظام والدقة والمثابرة.

المشاركة الجماعية في العمل والأداء.

اكتساب وتنمية المعلومات والمهارات.

- اتقان العمل.
- التذوق الفني والقدرة على التعبير
- القدرة على القياس والتقييم.

وفي مرحلة الدراسة المتوسطة نجد أنه بجانب الصفات السابق ذكرها لابد وأن يستطيع الطفل أن يدرك قيمة النظرة الشاملة، وحسن التعبير،

والقدرة على التعلم الذاتي. والتقييم المستمر لعمله وإنتاجه، وتطلعه إلى النضج والاستقلال. ويستمر الطالب في المرحلة الجامعية أو مرحلة التعليم العالي في تأكيد وتنمية الأسس التربوية السابق ذكرها في المراحل السابقة كلها بالاضافة إلى تعلمه:

المنهج العلمي في التفكير وتطبيقاته في حياته العامة وفي دراسته.

المقدرة على استيعاب النظرة الشاملة قبل الانتقال إلى العمل المحدد.

إدراك اهمية اتباع ضوابط القياس.

- المقدرة على المشاركة الجماعية في العمل والحياة الاجتماعية الصحيحة.

تنمية المهارات والقدرات والهوايات الشخصية.

تأكيد أهمية وجود القدرة (في اشكالها وأنماطها المختلفة).

- المقدرة على تحديد رؤية مستقبلية واقعية في حدود قدراته والظروف المحيطة بها.

القدرة على تحويل النظريات إلى تطبيقات ذات عائد اجتماعي.

العمل بمفهوم اجتماعي وعملي وتطبيقي.

دور فلسفة التعليم في مجابهة التعاطي والإدمان:

إذا نظرنا وتأملنا الدوافع الطبيعية الكامنة في نفوس اطفالنا وشبابنا وكذلك ادركنا أهمية الأسس التربوية التي لابد وأن تتبع في نظم تعليمنا العام والعالي والجامعي. لوجدنا انه لابد من أن تهتم المدرسة والمعهد والجامعة بتنمية شخصية التلميذ والطالب بقدر اهتمامها بتنمية قدراته العلمية والمعرفية، ليصبح فرداً متوازناً فكرياً ونفسياً واجتماعياً بقدر اكتسابه قدرات علمية وعملية ومهارية، وبالتالي يستطيع أن يعلم نفسه ويعظم من قدراته،

حتى يتمكن من التصدي للصعاب والأزمات في المستقبل باسلوب علمي منهجي صحيح ومناسب. وأن تكون المدرسة والجامعة ممثلة في مناهجها ومدرسيها واساتذتها ونظمها قادرة على استكشاف قدرات تلاميذها وطلابها، بنفس القدرة على استكشاف أي تعثر قد يحدث لأي من تلاميذها وطلابها، سواء كان ذلك العائق دراسياً، أو نفسياً، أو اجتماعياً، أو اقتصادياً، أو اسرياً، وأن اعداد المدرسين واعضاء هيئة تدريسها لاشاعة المناخ المدرسي أو الجامعي المناسب، وليكونوا قدوة لتلاميذهم وطلابهم.

كما أنه من الضروري أن تشمل المناهج الدراسية الوسائل التربوية التي تؤكد على اكتساب القدرات العلمية والفكرية للتلاميذ والطلاب، بالاضافة إلى مخاطبة الدوافع الطبيعية التي يتصف بها الطفل أو التلميذ أو الشاب، ووضع كل الامكانات الاجتماعية والعلمية التي تعظم من الأسس التربوية التي يكتسبها الدارس طوال مراحل تعليمه وتعلمه

وهنا لابد وأن ننوه بأنه ليس من الضروري أن تكون النظم التربوية والأنشطة المدرسية والطلابية عالية التكاليف، فمن الممكن أن تتفاوت التكلفة حسب القدرات الاجتماعية والاقتصادية بالمدرسة أو المعهد أو الجامعة أو القرية أو المدينة، مع الحفاظ على نفس مستوى كفاءة الأداء والخدمة التربوية.

هناك محور آخر على قدر من الأهمية، وهو المحتوى الدراسي في المناهج الخاصة بالثقافة الصحية والدينية التي ترشد التلميذ والطالب إلى اهمية المحافظة على نفسه وصحة البيئة للحفاظ على صحته بدنياً وعقلياً ونفسياً. وهذا الجزء يقابل حالياً قدراً كبيراً من الاهتمام في الآونة الأخيرة، وقد بدأ ذلك من تطوير المناهج والمقررات الدراسية في مراحل التعليم العام،

إلا أنه لابد وأن ندرك أن ذلك يعد جزءاً مكملاً لما سبق ذكره من وسائل اخرى لتنمية القدرات النفسية والعقلية والفكرية للتلاميذ والطلاب، ولا يمكن الاعتماد عليه بمفرده كبرنامج للوقاية من التعاطي والإدمان.

التوصيات الخاصة بالاتجاهات الحديثة في التوعية الوقائية:

في ضوء ما سبق ذكره يمكننا أن نستخلص ما يأتي: (غالب، ١٩٩٤)

اولاً: اذا أردنا أن تكون القنوات التعليمية اداة فعالة للوقاية من الدرجة الأولى من التعاطي والإدمان لابد وأن يعد التلميذ والطالب ليكون:

- متميزاً في أي مجال (دون تحديد) علمي أو رياضي أو ثقافي أو أدبي أو علمي أو تكنولوجي، وذلك باستكشاف وصقل قدراته.

له هواية أو نشاط مدرسي وطلابي.

- قادراً على اتباع المنهج العلمي في التفكير والاداء، خاصة فيما يتعلق برغباته وطموحاته الشخصية.
- وان يستطيع أن ينمي قدراته على النظرة الشاملة قبل الارتباط بأي عمل أو فعل جزئي محدد.
- قادراً على القياس والتحليل والاستنباط، وأن يحسن التمييز والاختبار
- قادراً على اكتساب الثقة بنفسه مع اكتسابه ثقة الآخرين.

محسناً للاستماع والتعبير، وأن يلتزم بآداب المناقشة والحوار

متحلياً بالسلوك والقيم السوية.

- قادراً على القيام بعمل جيد، أو مزاولة مهنة بكفاءة مناسبة، ويكون قادراً على ممارسة التعلم الذاتي والمستمر، وأن يقيم عمله بين الحين والحين.

هذه صفات لابد من توافرها في كل تلميذ وطالب حتى يكون متوازياً نفسياً وعقلياً وبدنياً.

ثانياً: من الضروري وضع الضمانات التالية:

١ ـ أن يشعر الطفل والتلميذ والطالب بالأمن والأمان والاستقرار في محيط الأسرة والمدرسة ومجتمعه الصغير، وأن تكون له القدرة على حرية التعبير وأن توضع الوسائل المناسبة لمعالجة أي خلل قد يطرأ على حياة الطفل أو الشاب وذلك من خلال الرعاية الاجتماعية المدرسية والجامعية.

٢ ـ المحافظة على بيئة مدرسية أو جامعية صالحة لذلك لابد من ايجاد القدوة الحسنة من بين المدرسين واعضاء هيئات التدريس، والقدوة من بين الاقران في الفرق الدراسية الاعلى. فعلى سبيل المثال لابد من التزام جميع العاملين بالمدارس والمعاهد والجامعات بعدم التدخين داخل اماكن عملهم، والالتزام بأداب الحديث وآداب الحوار

كما أنه لابد من ايجاد حوافز معنوية أو ادبية للتلاميذ والطلاب لرفع الروح المعنوية بينهم.

بذلك تصبح دور العلم دوراً للتربية والتنشئة الصالحة، وتسهم بفعالية كأداة للوقاية من الدرجة الأولى من التعاطي وإدمان المخدرات.

أساليب العلاج لمواجهة معوقات الوقاية

فيما يتعلق بالتعامل مع معوقات الوقاية من الدرجة الأولى، نعرض الآتي:

بعض أساليب العلاج النفسي السائدة:

تستخدم في هذا المجال كثير من أساليب العلاج النفسي الفردي والجمعي، ونظراً للتنوع الشديد في الصورة الاكلينيكية لكل حالة، لذلك يحتاج الأمر إلى قدر كبير من المرونة من جانب المعالج، بحيث يكون على استعداد ـ دائماً ـ لاعادة النظر في الصيغة التي يمارس العلاج على اساسها.

والعلاج السلوكي للإدمان تطور هو نفسه (وهو أمر طبيعي بالنسبة لجميع انواع العلاج أياً كان موضعها في عملية التطبيب)، وقد مر تطوره بالمراحل الآتية:

المرحلة الأولى:

تحرك فيها من مرحلة تحليل الحالة الفردية (بالاسلوب الكيفي) متجهاً إلى العناية بالتصميم التجريبي المنضبط بالتحليل الاحصائي المناسب، مع العناية بالمقارنات الكمية الدقيقة بين نتائج الاساليب العلاجية المختلفة.

المرحلة الثانية:

تحرك فيها من التركيز على المدمنين المحجوزين (في المستشفيات على اساس تطوعي أو اساس احكام قضائية) متجهاً إلى الخروج إلى المجتمع العريض، حيث يعالج المدمن في اطار قريب من اطار العيادة الخارجية.

ثم المرحلة الثالثة:

وقد انتقل العلاج فيها من تصور نظري للإدمان شديد التبسيط، متجهاً إلى الاهتمام بتقدير (نقاط الضعف) و(نقاط القوة) في المدمن، والتدبير للإفادة من نقاط القوة، بالاضافة إلى معالجة نقاط الضعف (Callahan, 1980).

ومن الأساليب الحديثة في هذا الصدد (وتنتمي إلى المرحلتين الثانية والثالثة من التطور المشار اليه) الأسلوب المقترن باسم بودن Boudin (وهو علاج سلوكي خالص)، واهم عنصر في هذا الاسلوب هو اعتماد المعالجين المحترفين على (متطوعين) ليسوا معالجين بحكم المهنة، ولكن يجري تدريبهم على عدد محدود من الإجراءات العلاجية اللازمة. وتهدف هذه الخطوة إلى تحقيق غرضين:

الأول: هو مواجهة مشكلة قلة عدد المعالجين المحترفين بالنسبة إلى أعداد المدمنين. فلو أن الموقف العلاجي أدير بالطريقة التقليدية، أي معالج واحد لكل مدمن واحد، لاستمرت أعداد المدمنين الذين ينتظرون العلاج في الزيادة، لأن المعالجين المحترفين أقل بكثير جداً من اعداد المدمنين المحتاجين للعلاج (عكاشة، ١٩٩٤م).

الثاني: هو اجراء العلاج في جو اقرب إلى جو مواقف الحياة العادية خارج العيادة وخارج المصحات. أي حيث توجد المغريات ومثيرات الرغبة في هذا المخدر أو ذاك. مما يعني أن العلاج يتصدى مقدماً لمشكلة احتمال الانتكاس التي يشكو منها الجميع، وتتمثل في عودة أعداد كبيرة ممن يعالجون داخل المصحات إلى تعاطي مخدراتهم عقب الخروج من هذه المصحات مباشرة.

وفي هذا الإطار يعتمد أسلوب بودن على عدد من الاجراءات الفنية نجمل اساسياتها فيما يلي:

أ- ملاحظة الذات.

ب- تقويم الذات.

ج- برمجة تعديل السلوك.

ويكون الهدف من تدريب المدمن على الملاحظة الدقيقة لنفسه هو الوصول به إلى الإدراك الواضح لما يسمى (بالأنماط الوظيفية) التي يفصح سلوكه الإدماني عنها. والنمط الوظيفي في هذه الحالة هو التسلسل الذي يبدأ بوقوع حدث أو سلسلة من الأحداث لا تلبث أن تثير الدافع إلى تعاطي المخدر، ثم يقع فعل التعاطي نفسه، ثم يأتي ما يعقبه مباشرة من مشاعر واحداث سلوكية هي التي تدعم سلوك التعاطي وترسخه، بعبارة أخرى أن النمط الوظيفي (كما يتمثل في برنامج بودن) هو مجموعة السوابق على فعل التعاطي، ثم فعل التعاطي نفسه، ثم مجموعة اللواحق المباشرة. وتعد ملاحظة أو رصد السوابق التي تثير الدوافع إلى التعاطي، ثم ملاحظة أو رصد اللوائح التي تدعم فعل التعاطي نقاط ارتكاز بالغة الأهمية في برنامج بودن، وذلك لأنها تستخدم فيما بعد باعتبارها المعطيات السلوكية التي يتناولها المعالج في تقويم الذات.

وفي المراحل الأولى للعلاج لا يتولى المدمن نفسه عملية التقويم بل يقوم بها المعالج، فيقرر على اساسها ما هي السلوكيات الواجبة التعديل أو التغيير ويطبق في هذا الصدد آليات التغيير المعروفة في نطاق العلاج السلوكي، والمرحلة التالية يكل المعالج إلى المدمن عملية تقويم الذات، ويظل هو نفسه (أي المعالج) يتولى برمجة التعديل والتغيير السلوكي، فاذا استمر تقدم المدمن في العلاج ارتقى به المعالج اخيراً إلى تعليمه عمليات التعديل نفسها ووكل اليه برمجتها وتطبيقها.

ثم تأتي أخيراً مرحلة تقويم أثر العلاج. وقد أشار بودن إلى انه استخدم لهذا الغرض أربعة محكات محددة، هي:

مستوى الأداء في العمل أو المدرسة.

- مستوى التعامل الشخصي والاجتماعي.
- وعدد مرات التعاطي التي قد يتورط المدمن فيها رغم مشاركته في البرنامج.
- وعدد مرات الاصطدام بالقانون أياً كانت نوعية هذا الاصطدام.

العلاج الكيميائي المقترن بالعلاج السلوكي:

يقوم التأثير المطلوب للمضادات جميعاً (ويُطلق عليها احياناً اسم مضادات الأفيون لكونها تستهدف اساساً مقاومة إدمان الأفيون ومشتقاته) على مبدأ محدد، هو سد الطريق العصبي الذي يسلكه الأفيون ومشتقاته داخل النسيج العصبي لاحداث الإدمان. ذلك أن الأفيون ومشتقاته يتجه - أساساً - إلى ما يسمى مستقبلات الأفيون في المخ، ومنها تنفذ آثاره إلى المخ، لتنعكس بعد ذلك في خبراتنا وسلوكنا بالأشكال المعروفة (وفي مقدمتها خفض الألم) وعلى ذلك فالمضادات التي نحن بصددها تشغل مستقبلات الأفيون في المخ (دون أن يكون لها تأثير الأفيون ومشتقاته)، وبالتالي تصبح (أي المضادات منافساً حقيقياً للأفيون ومشتقاته. فاذا تناول شخص كمية كافية من أحد هذه المضادات (وليكن النالتركسون) بحيث تشغل جميع المستقبلات المتوفرة لديه في المخ، ثم تعاطي حقنة هيروين (أحد مشتقات الأفيون) فلن يكون لها تأثير على سلوكه، لأن السبل أمامها للتأثير في السلوك اصبحت مسدودة. هذا هو الأساس الذي تستند اليه فكرة المضادات الأفيونية.

وهو أساس يختلف تماماً من الأساس الذي تقوم عليه علاجات كيميائية أخرى عرفت وذاعت قبل النالتركسون. من هذا القبيل العلاج بالميثادون Methadone، إذ أن الميثادون يعتمد على فكرة تقديم بدائل للمدمن، بدائل

عن الهيروين - هي نفسها مشتقات أفيونية (تحدث قدراً من الاعتماد)، لكن لها خصائص فارماكولوجية تجعلها أقل قهراً لإرادة المدمن من الأفيون ومن المورفين ومن الهيروين. وجدير بالذكر أن هذا هو الأساس الذي بنيت عليه كثير من العلاجات الكيميائية القديمة نسبياً بل أن الهيروين نفسه اكتشف كجزء من السير في العلاج الطبي على أساس مفهوم البدائل وذلك لعلاج مدمني المورفين، إلى أن تبين فيما بعد (نتيجة لتراكم التقارير الطبية) أنه هو نفسه يحدث قدراً من الإدمان أشد قهراً لإرادة المدمن من المورفين، أما مع النالتركسون فنحن نتحرك طبياً على أساس علمي يختلف تماماً عن ذلك، هذا الأساس الجديد هو سد الطريق لا تقديم البديل.

وننتقل الآن إلى وصف الهيكل الأساسي للدراسة، فقد استهدف البحث المقارنة بين ثلاثة اشكال من العلاج لثلاث مجموعات من مدمني الهيروين: مجموعة (أ) عولجت بالعلاج السلوكي الخالص. ومجموعة (ب) عولجت علاجاً طبياً خالصاً باستخدام النالتركسون، ومجموعة (ج) عولجت بالمزج بين العلاج الطبي والعلاج السلوكي. وكان الهدف الرئيسي للبحث هو الاجابة على سؤال: أي هذه الأشكال يحقق أفضل نتيجة؟

مناقشة النتائج:

١ - تشير نتائج الدراسة إلى تفوق كل من المجموعتين اللتين كان الأفراد فيهما يتناولون النالتركسون، فقد تفوق هؤلاء الأفراد المشتركين في مجموعة العلاج السلوكي فقط.

٢ - ولم يوجد فرق - يستحق الذكر - في النتائج النهائية (من حيث درجة الشفاء) بين مجموعتي النالتركسون، وهو ما يعني أنه حيث يعطي النالتركسون تكون توقعات التوقف عن تعاطي الهيروين مرتفعة.

٣ـ ولكن ليس معنى ذلك أن العلاج السلوكي لم يكن له قيمة . إذ يتضح من تفصيلات النتائج أن العلاج السلوكي كانت له فائدة محققة في المراحل المبكرة من العلاج . بما يتيحه الأفراد من درجة الاسترخاء (المصحوب بالشعور بالطمأنينة) ، بالاضافة إلى دعم الشخصية (نتيجة لما تكتسبه من مهارات اجتماعية جديدة) في مواجهة دوافع اللهفة ، وفي مواجهة ضغوط البيئة الاجتماعية الفاسدة .

٤ـ جدير بالذكر هنا أن مدة العلاج في هذا الإطار ٢٩ اسبوعاً ، أي ما يزيد قليلاً على ستة شهور وقد جاءت نتيجة المتابعة جيدة بشكل ملحوظ .

٥ـ تمت المتابعة لمعظم الأفراد لمدد تتراوح بين ٩ شهور و١٢ شهراً . وأهم ما كشفت عنه أن نسبة الشفاء التي تحققت في كل من المجموعتين اللتين تناول افرادهما عقار النالتركسون بلغت حوالي ٥٠٪ في حين انها لم تتعد ٢٨٪ في حالة المجموعة التي تلقى افرادها العلاج السلوكي فقط دون أن يقترن معه تناول النالتركسون .

المراجع

المراجـــع

أولاً: المراجع العربية:

١ـ أحمد عكاشة: الوقاية من الدرجتين الثانية والثالثة، الندوة القومية لكافحة المخدرات وعلاج الإدمان، القاهرة، ١٩٩٤، ص ص ٢٤٤/ ٢٤٩

٢ـ حيدر غالب: القنوات التعليمية كأدوات للوقاية من الدرجة الأولى لمكافحة تعاطي وإدمان المخدرات، الندوة القومية لمكافحة المخدرات وعلاج الإدمان، القاهرة، ١٩٩٤، ص ص ٢٠٩، ٢١٩

٣ـ عبد المجيد سيد أحمد منصور: السلوك الإجرامي والتفسير الإسلامي. ج١ · الرياض: سلسلة كتب مركز أبحاث الجريمة، الكتاب السادس. وزارة الداخلية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ص ص ٦/ ١٣ · ص ص ٩٩/ ٨٩، ص ص ١٦٥/ ١٨٢

٤ـ مصطفى سويف: الطريق الآخر لمواجهة مشكلة المخدرات، خفض الطلب، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٩٠

٥ـ مصطفى سويف: تعاطي المواد المؤثرة في الاعصاب بين الطلاب: دراسات ميدانية في الواقع المصري، المجلد الأول، مدخل تاريخي ومنهجي إلى الدراسات الوبائية، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٩٠

ثانياً: المراجع الأجنبية:

7.Arif, A. & Westermeyer, J. Manual of drug and alcohol abuse, New York : Plenum Medical Book Co., 1988.

8.Smart, R. G. & Fejer, D. Drug education : Current Issues, Future Directions, Toronto : ARF, 1974.

9.Smart, R. G. Drug use and Drug Abuse : A Atatistical Correlation with Implications for Prevention, in Drogue et Civilization, G. Nahas ed., (Entretiens DE Rueil du Mars 1981). Paris : Pergamon, 1982, 298-303.

10.Soueif, M. I. Hashish Consumption in Egypt : with Special Reference to Psychosocial Aspects, Bull. on Narcotics, 1967, 19/2, 1-12.

11. Soueif, M. I. Cannabis ideology: A study of Opinions and Beliefs Centering Around Cannabis Consumption, Bull on Narcotics, 1973, 25/4, 33-38.

12.Soueif, M. I. Some Issues of Major Importance for Prevention of Drug Dependence, National Rev. of Soc. Science, Cairo, 1974, 11/2, 39-61.

13.Soueif, M. I. Darweesh, Z. A., Hannourah, M. A., El-Sayed, A. M., Yunis, F. A. & Taha, H. S. The extent of drug use among Egyptian Male University Students, Drug & Alcohol Dependence, 1986, 18, 389-403.

14.Soueif, M. I. The Social Relevance of Epidemiological Research in Drug use, Abuse and Dependence : A position Paper, Drug & Alcohol Dependence, 1990, 25, 153-157.

15.Soueif, M. I. Yunis, F. A., Youssuf, G.S. Moneim, H. A.,

Taha, H.S., Sree, O.A., Badr, K. & Salakawi, M. use of Psychoactive Substances Among Male Secondary School Pupils in Egypt : a Study on a Nationwide Representative Sample, Drug & Alcohol Dependence. 1990, 26, 63-79.

16. United Nations Declaration of the International Conference on Drug Abuse and Illicit Trafficking & Comprehensive Multidisciplinary Outline of Future Activities in Drug Abuse Control, New York : U.N. 1988.